تمهيد

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[١].

والقول السديد هو القول القاصد إلى الحق والعدل[٢].

قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره[٣]: «أرشدهم إلى ما ينبغي أن يصدر منهم من الأفعال والأقوال؛ أما الأفعال فالخير، وأما الأقوال فالحق؛ لأن من أتى بالخير وترك الشر فقد اتقى الله، ومن قال الصدق قال قولاً سديداً. ثم وعدهم على الأمرين بأمرين: على الخيرات بإصلاح الأعمال... وعلى القول السديد بمغفرة الذنوب». و«السداد: الاستقامة»[٤].

---

(١) الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري: ٣ / ٥٦٣ (طبعة دار الكتاب العربي).

(٣) ٢٥ / ٢٠٢ (طبعة دار الكتب العلمية - بيروت).

(٤) مفردات الراغب الأصفهاني: ٢٣٣ (طبعة دار الفكر - بيروت).

وغني عن البرهان أن القول السديد المستقيم القاصد إلى الحق والعدل لا يصدر عن فكر مختل، وهوى يعمي ويصم، إنما يصدر عن **فكر سديد وعقل رشيد**. ومن هنا نعلم أهميةَ الفكرِ السديد كما بينها القرآن المجيد، وصلتَه الوثقى بالفاعلية. فلولاه لأكبّ الإنسان على وجهه، وبه يسير سوياً على صراط مستقيم:

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١).

ولا يخفى على الناظر في أحوال المسلمين اليوم ما هم فيه من تخلف عن الأخذ بأمر الله، وعن ركب الحضارة **المادية** التي بلغ بها الإنسان غير المسلم ذروةً لم يسبق أن بلغ قريباً منها في تاريخه الطويل منذ أن أهبط إلى الأرض.

وهذا التخلف له أسباب متعددة من أهمها: عدم العناية بتنمية ملكة التفكير السديد الرشيد، التي أكرم الله بها الإنسان وفضله على سائر مخلوقات كوكبه، ومما يدعو إلى العجب والدهشة أن غالبية المدارس في العالم الإسلامي

(١) الملك: ٢٢ .

- إن لم تكن كلها - لا تدرّس مادةً تعلِّم التفكير أو تساعد على تحسينه، في الوقت الذي نرى فيه الغربيين يبذلون عناية متزايدة في هذا الجانب، حتى إن بلداً مثل فنزويلا فرضت حكومته على طلاب مدارسها أن يدرسوا ساعتين في الأسبوع مادة سمّوها «مهارات التفكير» ودرّبوا على تدريسها أكثر من مئة ألف معلم، ووضع لهم مقرّر هذه المادة الدكتور إدوارد دو بونو، أحد أشهر المتخصّصين في هذا المجال. واستُعمل هذا المقرر في عدة بلاد منها: كندا، وبريطانيا، وأيرلندة، وأستراليا، ونيوزيلندة.. وهو الرجل الذي وضع دورات لتعليم التفكير من خلال التلفاز لمحطة بي بي سي، عرضَتْها سبعٌ وثلاثون محطة تلفازية في أمريكا، كما وضع لتلفاز ألمانيا الغربية برنامجاً عن «عظماء المفكرين» عرضته بعض المحطات الأوربية[١].

(١) هذه المعلومات مأخوذة من ظهر الألبوم الذي يضم ستة أشرطة وثلاثة كتيبيات من إعداد دوبونو بعنوان: قوة التفكير المركّز:

The Power of Focused Thinking International Center for Creative Thinking 805 W. Boston Post Rd. Mamaro neck, Ny 10543 .

إن المسلمين اليوم بحاجة ماسة إلى أن يعلّموا أبناءهم في المدارس والجامعات أصول التفكير السديد، ويدربوهم عليها، ويبينوا لهم أخطاء التفكير، ومزالقه، ليتجنّبوها. ولعل أحد من بيدهم الأمر تقع عينه على هذه السطور، ويقتنع بصواب هذا الاقتراح، فيبادر إلى إقرار مادة التفكير في المدارس والجامعات، ويكون بذلك قد سنَّ سنّةً لا يزال أجرها واصلاً إليه إلى يوم القيامة إن شاء الله.

إننا نَدْرس الرياضيات، وندرّسها لأبنائنا، ولكننا لا نستفيد من أهم ما تمنحه دراسة الرياضيات لصاحبها: تصحيح عملية التفكير. إن دارس الرياضيات ينبغي له أن يتعلم منها - إلى جانب التفكير الصحيح - الخُلُق الحسن، والصبر والأناة.. فالمسائل المعقّدة تحتاج إلى صبر وإعمال فكر، والخطوط والزوايا والأرقام لا تصيح، ولا تعضّ، ولا تتأثر بالترغيب والترهيب، فالحقائق هناك، ومن يبرهن عليها ويكشفها بنور العقل تمكّنه من نفسها، ويقدر على تسخيرها والانتفاع بها.

منزلة التفكير في الإسلام:

من مزايا القرآن الكريم الكثيرة: **التنويه بالعقل، والتعويل عليه في أمر العقيدة، وأمر التبعة والتكليف.** ونحن نجد في التنزيل العزيز آيات كثيرة مثل قوله سبحانه:

﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾، ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾، ﴿يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾، ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ﴾.

يقول عباس محمود العقاد[1]:

«بهذه الآيات، وما جرى مجراها، تقررت - ولا جرم - فريضة التفكير في الإسلام، وتبيّن منها أن العقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يعصم الضمير، ويدرك الحقائق، ويميز بين الأمور، ويوازن بين الأضداد، ويتبصر، ويُحسن الادّكار والرويّة، وأنه هو العقل الذي يقابله الجمود،

(١) التفكير فريضة إسلامية: ٢١ - ٢٢ (طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩١ - ١٩٧١).

والعنت، والضلال، وليس بالعقل الذي قُصاراه من الإدراك أنه يقابل الجنون...

«والذي ينبغي أن نثوب إليه مرةً بعد مرة، أن التنويه بالعقل على اختلاف خصائصه لم يأت في القرآن عرضاً، ولا تردد فيه كثيراً من قبيل التكرار المعاد، بل كان هذا التنويه بالعقل نتيجة منتظرة يستلزمها لباب الدين وجوهره، ويترقبها من هذا الدين كلٌّ من عرف كنهه، وعرف كنه الإنسان في تقديره».

وإن الدارس المتبصر للقرآن الكريم يجد فيه آياتٍ حافزةً على ممارسة عدد من مهارات التفكير، منها - على سبيل المثال لا الحصر:

١- مهارة الإصغاء.

٢- ومهارة الانتباه.

٣- ومهارة التفكر.

٤- ومهارة الربط بين المتشابهات.

٥- ومهارة التفريق بين المختلفات.

٦- ومهارة الاستنتاج.

٧- ومهارة التتبع... إلخ.

حكم دراسة المنطق:

قيل في تعريف المنطق إنه «آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر. فهو علم عملي آلي، كما أن الحكمة (يعني الفلسفة) علم نظري غير آلي»[١].

ونقل عن بعض العلماء تحريم دراسة المنطق وعلم الكلام، ومرادهم تحريم الكلام في ذات الله سبحانه وصفاته، وإخضاع ذلك لعقول البشر المحدودة ومقاييسهم، وليس مرداهم تحريم قواعد التفكير الصحيح، ولا يمكن أن يكون ذلك.

نقل الإمام السيوطي[٢] عن الإمام الشافعي رحمهما الله قوله: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام». ثم قال

---

(١) التعريفات - علي بن محمد الشريف الجرجاني: ٢٥١ (مكتبة لبنان - ١٩٨٥).

(٢) في كتابه المسمى: صون المنطق والكلام عن فنّ المنطق والكلام: ٣١ تحقيق د. علي سامي النشار (الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، مصر).

السيوطي رحمه الله معلقاً على ذلك: «دلّ نصُّه على أن مما يُعلّل به تحريم النظر في علم الكلام كونه أسلوباً مخالفاً لأسلوب الكتاب والسنة، أو كونه سبباً لترك الكتاب والسنة، ونسيانهما، وذلك جارٍ في المنطق أيضاً».

قال صاحب السُّلَّم مُبيناً اختلاف العلماء في حكم الاشتغال بعلم المنطق:

والخُلْفُ في جواز الاشتغال
به على ثلاثةٍ أقوال:
فابن الصلاح والنواوي حَرّما
وقال قومٌ: ينبغي أن يُعلما
والقولة المشهورة الصحيحة
جوازه لكامل القريحة
ممارسِ السنة والكتاب
ليهتدي به إلى الصواب

قال شارحه أحمد الدمنهوري[1] رحمه الله: «واعلم أن هذا الخلاف إنما هو بالنسبة للمنطق المشوب بكلام

(١) إيضاح المبهم من معاني السلّم: ٥ بتصرف (المطبعة الحميدية المصرية - ١٣١٣هـ).

الفلاسفة.. وأما الخالص.. فلا خلاف في جواز الاشتغال به، بل لا يبعد أن يكون الاشتغال به فرض كفاية لتوقّف معرفة دفع الشبه عليه. ومن المعلوم أن القيام به فرض كفاية. والله أعلم».

قال العقاد [١] رحمه الله: «**المنطق علم يجمع الأصول والقواعد التي يستعان بها على تصحيح النظر والتمييز. وحكم الإسلام فيه -بهذه المثابة- واضح لا يجوز فيه الخلاف**؛ لأن القرآن الكريم صريح في مطالبة الإنسان بالنظر والتمييز، ومحاسبته على عقله وضلال تفكيره.

«بيد أننا نحتاج إلى التفرقة بين شيئين مختلفين في هذا الموضوع قبل أن نعرض لفتاوى الفقهاء فيه بتحريم أو تحليل، وهما: المنطق والجدل (أو الخطاب الإقناعي) فإنهما ليختلفان ويتباعدان حتى ينتهي الاختلاف والتباعد بهما إلى الطرفين النقيضين».

«فالمنطق بحث عن الحقيقة من طريق النظر المستقيم والتمييز الصحيح، والجدل بحث عن الغلبة والإلزام بالحجة، قد يرمي إلى الكسب والدفاع عن مصلحة مطلوبة، وقد يتحرى مجرّد المسابقة للفوز على الخصم وإفحامه، في مجال المناقضة واللّجاج».

(١) التفكير فريضة إسلامية: ٣٥ .

ويمضي العقاد رحمه الله قائلاً[١]: «وإذا أحيل البحث إلى الإمامين الغزالي وابن تيمية فنحن بيد يدي حجّتين من حجج المنطق لا يسبقهما فيه سابق من المتقدمين أو المتأخرين. ومناقشتها للمنطق مناقشة تصحيح وتنقيح وليست مناقشة هدم للأسس التي يقوم عليها، أو تفنيد للأصول التي يرجع إليها. فهما يريدان إثبات الخطأ على من يسيئون تطبيق القياس والبرهان، ولا يريدان محو القياس والبرهان في علمٍ من علوم الدين أو الدنيا، التي جاءت من اليونان أو نشأت بين المسلمين.

«يقول الغزالي في كتابه (مقاصد الفلاسفة): أما المنطقيّات فأكثرها على منهج الصواب، والخطأ نادر فيها، وإنما يخالفون أهل الحق فيها بالاصطلاحات والإيرادات، دون المعاني والمقاصد».

«وأما ابن تيمية.. فهو يستخدم قضايا المنطق ليُبطل دعوى المناطقة الذين يضعون الحدود في غير مواضعها، ويقيسون الأشباه والنقائض بغير قياسها، ويهدرون الحقائق في سبيل المصطلحات والألفاظ، بغير دراية لمعناها.. فالمنطق عنده مقيد بالعقل، وليس العقل مقيداً بالمنطق، كما جعله المقلدون من عبّاد الألفاظ، وأصحاب اللجاجة بالمصطلحات الموضوعة».

(١) التفكير فريضة إسلامية: ٤٤ - ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ بتصرف.